لايناتي معه قول الزمخشري بل يودي الى ما لا يجوز التلفظ به في حق المعصوم
انتهى واختار ابو حيان ان يكون بنعمة قسما معترضا به بين المحكوم
عليه والحكم على سبيل التاكيد والتشديد والمبالغة في انتفا الوصف
الذميم وقال ابن عطية بنعمة ربك اعتراض كما تقول للانسان
انت بحمد الله فاضل قال ولم يبين ما تتعلق به البا في بنعمة
قال شهاب الدين والذي تتعلق به البا في هذا النحو معنى مضمون
الجملة نفيا واثباتا كانه قيل انتفى عنك ذلك بحمد الله والبا سببية
وثبت لك الفضل بحمد الله تعالى واما المثال الذي ذكره فالبا تتعلق
فيه بلفظ فاضل وقد نحا صاحب المنتخب الى هذا فقال المعنى انتفى
عنك الجنون بنعمة ربك وقيل معناه ما انت مجنون والنعمة لربك
كقولهم سبحانك اللهم وبحمدك اي والحمد لله وقول لبيد
وانفردت في الدنيا بفقد عشيرتي ... وفارقني جار بازبد نافع
اي وهو اربد وهذا ليس بتفسير اعراب بل تفسير معنى قوله تعالى
ما انت بنعمة ربك بمجنون هذا جواب القسم وهو نفي قال الزجاج
انت هو اسم ما ومجنون الخبر وقوله بنعمة ربك كلام وقع في الوسط
اي انتفى عنك الجنون بنعمة ربك كما يقال انت بحمد الله عاقل وروى
ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم غاب عن خديجة الى حرا وطلبته
فلم تجده فاذا به ووجهه متغير اشتلاغبا رفقالت مالك فذكر جبريل
عليه السلام وانه قال له اقرا باسم ربك فهو اول ما نزل من القران
قال ثم نزل الى قرار الارض فتوضا وتوضات ثم صلى وصليت معه
ركعتين وقال هكذا الصلوة يا محمد فذكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك
لخديجة فذهبت خديجة الى ورقة بن نوفل وهو ابن عمها وكان قد خالف
دين قومه ودخل في النصرانية فسالته فقال ارسل الي محمد ارسلته
فقال نعم امره جبريل عليه السلام ان تدعوا احدا فقال لا والله لين بقيت
الى دعوتك لانصرنك نصرا عزيزا ثم مات قبل دعا الرسول صلى الله
عليه وسلم ووقعت تلك الواقعة في السنة كفار قريش فقالوا انه مجنون
فاقسم الله تعالى على انه ليس بمجنون وهو خمس ايات من اول هذه السورة
قال ابن عباس اول ما نزل قوله تعالى سبح اسم ربك وهذه الاية
هي الثانية نقله ابن الخطيب وذكر القرطبي ان المشركين كانوا يقولون
للنبي صلى الله عليه وسلم مجنون به شيطان وهو قولهم يا ايها الذي
نزل عليه الذكر انك لمجنون فانزل الله تعالى ردا عليهم وتكذيبا لهم
ما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون اي برحمة ربك والنعمة ههنا
الرحمة وقال عطا وابن عباس يريد بنعمة ربك عليك بالايمان
والنبوة قال القرطبي ويحتمل ان النعمة ههنا قسم تقديره ما انت
ونعمة ربك بمجنون لان الواو والبا من حروف القسم وقد تقدم
فصل قال ابن الخطيب اعلم انه تعالى وصفه ههنا بصفات
ثلاثة الاول نفي الجنون عنه ثم قرن بهذه الدعوى ما يكون
كالدلالة القاطعة على صحتها لان قوله بنعمة ربك يدل على ان نعم الله
تعالى ظاهرة في حقه من الفصاحة التامة والعقل الكامل والسيرة المرضية
والبراة من كل عيب والاتصاف بكل مكرمة واذا كانت هذه النعم محسوسة
ظاهرة فوجودها ينافي حصول الجنون فالله تعالى نبه على انه هذه الدلائل
جارية مجرى الدلالة اليقينية على كذبهم في قولهم مجنون الصفة الثانية
قوله وان لك لاجرا غير ممنون اي ثوابا على ما تحملت من اثقال النبوة

ولا

ولا ممنوع منه يقال مان الشي اذا ضعف ويقال منت الحبل اذا
قطعته وحبل متين اذا كان غير متين قال لبيد عبسا كواسب ما يمن طعامها
اي لا تنقطع يصف كلابا ضارية ونظيره قوله تعالى غير مجذوذ وقال
مجاهد ومقاتل والكلبي غير ممنون اي غير محسوب عليك قالت
المعتزلة لانك تستوجبه على عملك وجوابهم ان حملهم على هذا ينقض
الفكرة لان قوله اجرا يفيده وقال الحسن غير مكدر بالمن وقال
الضحاك اجرا بغير عمل واختلفوا في هذا الاجر على اي شي حصل فقيل
معناه ان لك على احتمال هذا الطعن والقول القبيح اجرا عظيما
دايما وقيل ان لك في اظهار النبوة والمعجزات وفي دعا الخلق الى الله
تعالى وفي بيان الشرع لهم هذا الاجر الخالص الدايم فلا يمنعك نسبتهم
اياك الى الجنون عن الاشتغال بهذا المهم العظيم فان لك بسببه
المنزلة العالية الصفة الثالثة قوله وانك لعلى خلق عظيم قال
ابن عباس ومجاهد على خلق على دين عظيم من الاديان ليس دين احب
الى الله ولا ارضى عنده منه وروى مسلم عن عايشة ان خلقه كان
القران وقال علي رضي الله عنه هو ادب القران وقيل رفقه بامته
واكرامه اياهم وقال قتادة هو ما كان ياتمر به من امر الله وينتهي
عنه مما نهى الله عنه وقيل انك لعلى طبع كريم وقال الماوردي
حقيقة الخلق في اللغة ما ياخذ به الانسان في نفسه من الادب
يسمى خلقا لانه يصير كالخلقة فيه فاما ما طبع عليه من الادب فهو
الخيم فيكون الخلق الطبع المتكلف والخيم الطبع الغريزي قال القرطبي
ما ذكره مسلم في صحيحه عن عايشة اصح الاقوال وسيلت ايضا عن خلقه
عليه الصلوة والسلام فقرات قد افلح المومنون الى عشر ايات قال
ابن الخطيب وهذا اشارة الى ان نفسه القدسية كانت بالطبع
منجذبة الى عالم الغيب والى كل ما يتعلق بها وكانت شديدة النفرة
من اللذات البدنية والسعادات الدنيوية بالطبع ومقتضى الفطرة
وقالت ما كان احد احسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما دعاه احد من الصحابة ولا من اهل بيته الا قال لبيك ولذلك
قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم ولم يذكر خلق محمود الا وكان للنبي
الحظ الاوفر وقال الجنيد سمي خلقه عظيما لاجتماع مكارم الاخلاق فيه
بدليل قوله عليه الصلوة والسلام ان الله بعثني لاتمم مكارم الاخلاق
فصل قال ابن الخطيب قوله وانك لعلى خلق عظيم كالتفسير
لما تقدم من قوله تعالى بنعمة ربك وتعريف لمن رماه بالجنون بان ذلك
كذب وخطا لان الاخلاق الحميدة والافعال المرضية كانت ظاهرة
منه واذا كان موصوفا بتلك الاخلاق والافعال لم يجز اضافة الجنون
اليه لان اخلاق المجانين سيية ولما كانت اخلاقه الحميدة
كاملة لاجرم وصفها الله بانها عظيمة ولهذا قال قل ما اسالكم عليه
من اجر وما انا من المتكلفين اي لست متكلفا فيما يظهر لكم من اخلاقي
لان المتكلف لا يدوم امره طويلا بل يرجع الى الطبع وقيل انما وصف
خلقه بانه عظيم لانه تعالى قال اولئك الذين هدى الله فبهداهم
اقتده فهذا الهدى الذي امر الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالاقتدا به
ليس هو معرفة الله تعالى لان ذلك تقليد وهو غير لايق بالرسول
صلى الله عليه وسلم وليس هو الشرايع لان شريعته خلاف شرايعهم فتعين
ان يكون المراد منه امره صلى الله عليه وسلم بان يقتدي بكل واحد

King Saud University
Copyright © King Saud University